٣٠- ملازمة خشية الله تعالى:
التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى؛ محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك، متحلياً بالرجولة والمساهلة، والسمت الصالح.

← هذا هو الأدب الثالث الذي ذكره العلامة الشيخ بكر أبو زيد عليه رحمه الله للطالب في نفسه بعد الإخلاص والاتباع وملازمة طريقة السلف وقبلها معرفة أن العلم عبادة فيقول لك كن ملازماً لخشية الله تعالى

أولاً: ما معنى الخشية؟
الجواب: الخشية كما يقول الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن ص٣٥٠ «خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها في قوله: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وقال تعالى: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾»
فالخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم لذلك تأمل قصر الخشية على العلماء الآية السابقة لأنه أعرف الناس بربهم هم أكثرهم له خشية
وأما الخوف فهو: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة
كما أن الرجاء هو: توقع محبوب توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة
والخوف لقوله تعالى: ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾
والخوف من الله معناه ترك الكف عن المعاصي وتحري الطاعات.

فيرشدنا المؤلف الى إعمار الظاهر والباطن بخوف الله تعالى بأن تكف عن المعاصي او فعل وتحري الطاعات مع إعمار القلب بتعظيم الله تعالى في الخلوات وفي الجلوات سواء كنت في محضر من أعين الناس أو كنت خاليا مع الانترنت والجوالات مراقبا لقلبك معظما لربك، وأن تحافظ على شعائر الإسلام من فرائض ظاهرة أو سنن نبوية بفعلك وسلوكك داعيا الناس بالرجوع إليهما.

ودعا الشيخ رحمه الله تعالى بأن تكون كما كان النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا يمشي على الأرض فإذا رآك الناس تذكروا الله فتكون كهؤلاء الذين إذا رآهم الناس تذكروا الله، متحليا بالرجولة فأنت على جادة الطريق متذكرا عظم المهمة الملقاة على كتفك،
والمساهمة فتكون سراجا لينا دمث الخلق وخير الناس من يألفون ويُؤلفون، وتتحلى كذلك بالسمت الصالح فهذه هي سيما أهل العلم في القديم والحديث وقد تقدم الكلام معنا فيمن كانوا يحضرون درس ابن حنبل ليتعلموا من خلقه ودله

- قال المؤلف رحمه الله: «وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: أصل العلم خشية الله تعالى».

يعني إذا أردت تحقيق ما تقدم من فضائل وخشية الله هي طريقك الموصل إلى ذلك لذا قال الإمام أحمد: أصل العلم ما يبنى عليه العلم هو خشية الله وإلا فلا أساس له فيميل بصاحبه إلى الهاوية والعياذ بالله إما أن يميل به إلى الشهوات أو إلى الشبهات فيضل ويُضل غيره.

- قال رحمه الله: «فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم»

يرشدك إلى لزوم الخشية لتكون من خير الناس لأن أشد الله خشية هم العلماء فكل من كان بالله أعلم كان له أكثر له خشية فإن الخشية فرع العلم وكان للطاعة أطلب وعن معصيته أبعد، وكان من أكثر الناس استعدادا للقاء الله وهذا دليل على فضيلة العلم فإنه داعٍ إلى خشيته وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال تعالى: رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه، فهؤلاء هم خير البرية. اللهم اجعلنا منهم.
- قال المؤلف رحمه الله: «ولا يغيب عن بالك أن العالم لا يُعد عالما إلا إذا كان عاملا، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله»

معروف لنا أيؤلف العالم متى يكون عالمًا ربانيًا ذلك عندما يعمل بعلمه
ولا يتوصل إلى هذه المرتبة وهي تصديق العلم بالعمل إلا إذا لزمته
خشية الله وإلا ما الذي يجعل ذاك العالم يقوم بالليل في شدة الحر أو
البرد القارص ويفارق الفراش الحلال إلا خشية الله وما الذي أظمأ
شفته بالنهار إلا خشية الله وما الذي جعل يتعب في الحفظ والمراجعة
والسهر والبذل إلا خشية الله.

والعالم يا إخواني على الحقيقة هو العالم الرباني فهناك ثلاثة أنواع من
العلماء كما ذكره الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى

١ عالم دولة
٢ عالم أمة
٣ عالم ملة

① عالم دولة: ذلك الذي ما يريده السلطان والأمير والوزير فيجعله دينًا
للناس.

② عالم أمة: ذلك الذي ينظر ما يهواه الناس فيميل معهم حيث
مالوا.

③ عالم ملة: ذلك الذي ينظر إلى الدليل فالحلال ما أحله الله
والحرام ما حرم الله ولا يبالي لا بالسلطان ولا بالعامة

هذا يا أخواني هو العالم الرباني الذي نقصد الكلام عليه
واعلموا أنه قد يكون الإنسان عالمًا بالنحو أو الفقه أو الأصول أو الحديث
ولكنه ليس سنيًا يكون بعيد عن السنة.

فرق بين محب الحديث النبوي وبين حب السنة

فرق بين متشبع وبين راوٍ للحديث وفقط! فينتبه لذلك يا عالم الله
فالعالم معروف باتباعه للسنة وتحريره المسائل وأدلته ودله
ملازما لخشية ربه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وفي صدره أزيز
كأزيز الرحى من البكاء » رواه أحمد وغيره

وفي الحديث عند الطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: « مررت ليلة أسري بي بالملأ الأعلى وجبريل كالحلس البالي
من خشية الله تعالى »

وهذا عمر قد حفرت الدموع خطين أسودين في وجهه
وهذا الحسن البصري كان إذا بكى كأن النار لم تخلق إلا لأجله

قالت زوجة عمر بن عبد العزيز: ما رأيت أحداً قط أشدَّ فرقاً من ربه من عمر، كان إذا صلى العشاء قعد في المسجد، ثم يرفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عيناه، ثم ينتبه، فلم يزل رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عيناه.

قال المؤلف رحمه الله: وأسند الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى بسند فيه لطيفة إسنادية "برواية آباء تسعة" فقال: أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن زيد بن أكينة بن عبد الله التميمي من حفظه، قال سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: "هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل". اهـ

وهذا اللفظ بنحوه مروي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى.

استدل المؤلف أيضاً بأثر علي رضي الله عنه الذي رواه الخطيب البغدادي وفيه لطيفة في سنده حيث كل راوٍ يرويه عن أبيه وهم تسعة وهذا يدل على مدى اعتناء المحدثين بالرواية واستخراج ما فيها من لطائف.

والأثر عن علي رضي الله عنه يبين أن المقصود من العلم الأول هو العمل فالعلم إنما يطلب للعمل ويؤخذ منه أن العمل سبب في بركة العلم وزيادته وتركه محق لبركته ومعرض لزواله. قال عز وجل عن أقوام: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾.

الذهني ← الترك ← ترك العمل به

قال المؤلف رحمه الله:

٤- دوام المراقبة:

التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السرِّ والعَلَن، سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر.

قال المؤلف رحمه الله:
٤- دوام المراقبة:
التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر.

ينزل هنا المؤلف إلى منزلة عظيمة ومقام رفيع ألا وهو مقام المراقبة لله تعالى ومعناه أن تستحضر أن الله معك يسمع كلامك ويرى أحوالك فهذا يستلزم ملازمة الطاعة وتجافي المعصية وهذا المقام هو مقام الاحسان الذي جاء في حديث جبريل لما سأل النبي الأمين عن الاسلام والايمان والاحسان فقال عن الاحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك".
وأنت في سيرك إلى الله تسير بين الخوف والرجاء وهما كالجناحين للطائر فالرجاء يحدو بك والخوف يسوقك تعمل جاهداً رجاء رضا الله وفضله وثوابه العظيم وفي نفس الوقت خائفٌ وجل من عذابه وشديد عقابه "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم".

- قال رحمه الله: "فأقبل على الله بكليتك، وليمتلئ قلبك بمحبته ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحكمه سبحانه".

ويا لها من نصيحة غالية أريب فالإقبال على الله بالكلية هو سبيل النجاح والوصول إليه ولطالما دندن على هذه العبارة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين وغيره من كتبه رحمه الله وكان يقول "إن في القلب شعث لا يزيله إلا الإقبال على الله وجمع قلبك عليه بالكلية". فإذا جمعت قلبك على الله ذلّ لك كل شيء،
وليمتلئ قلبك بمحبته فالمحبة لا تقوم العبودية على ساق المحبة والمحب يبذل كل شيء لرضا محبوبه.
ومن ملأ قلبه بمحبة ربه لا شك أنه يكثر من ذكره، واستلزم ذلك الرضا والاستبشار والفرح بأحكامه فكلها عدل فيرى المحب

ربًا حكيمًا يضع الأمور في نصابه عاولًا في حكمه وشرائعه لا ذلك الغني البعيد الذي يتسخط على أحكامه و أقداره.

قال رحمه الله

هـ خفض الجناح و نبذ الخيلاء والكبرياء:
تحلَّ بآداب النفس من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق وسكون الطائر، من الوقار، والرزانة، وخفض الجناح، متحملاً ذلّ التعلّم لعزة العلم، ذليلاً للحقّ.

بعد أن أرشدك يا طالب العلم الى الخشية ودوام المراقبة لا بد أن تتوجه إلى نفسك فزكها بالتحلي بالأخلاق الحسنة وبالتخلي عن رذائل النفس وأمراضها فقال تحلَّ بآداب النفس منها العفاف فلا تمدنَّ عينيك الى ما في أيدي الناس ولا طالبًا ما عندهم وعندك ما يشغلك. ويجب عليك أن تكون حليمًا لا يعاجل بالعقوبة إذا أساء إليه أحد وأن تكون صبورًا على أذى الناس تكن صبورًا على العامة على زميلك على معلمك. تكن متواضعًا للحق فإذا بان لك الحق قبلته ولم تبغ سواه بديلاً وليكن عندك مثل سكون الطائر من الوقار، السكينة هي التأني في الحركات واجتناب العبث، أما الوقار فيكون في الهيئة كغض البصر، وخفض الصوت وعدم الالتفات والرزانة معناه ظهور الوقار عليك، خافض الجناح للمؤمنين متحملاً ذل التعلّم لعزة العلم، ذليلاً للحق لا بد من التحمل في الطلب وقالوا ذلّ طالبًا تعز مطلوبا

قال رحمه الله، وعليه فاحذر نواقض هذه الآداب ... الحقول مبلغا أي احذر من ضد هذه الصفات الذميمة السيئة فإنك إن وقعت فيها وقعت في الإثم وتدل على نقص عقلك وعدم كمال أهليتك فتحرم بركة من العلم تحصيلاً ونفعًا وبركة والعياذ بالله

← وإياك والخيلاء هي إعجاب بالنفس فتكبر على الآخرين ويظهر أثر الخيلاء على أعضاء البدن، وهذا فيه طعن في التواضع وتزكية النفس وهو نفاق لأنه يظهر في مظهر الناصح المربي المتواضع وهو قد أعجب بنفسه وتكبر على من حوله.

// قال رحمه الله تعالى وقد بلغ من مؤشدة التوقي منه عند السلف مبلغا.

وهو دقيق ما أبينه الذهبي الى قوله ... رحمه الله تعالى ؟

ذكر لنا المؤلف قصة تدل على توقي السلف من الخيلاء والكبرياء فهذا عمرو بن الأسود العنسي كان يخاف على نفسه أن يختال في مشيته ويقع فيما يطعن في نيته وإخلاصه فكان يمسك بيمينه على شماله فلما سُئل أجاب: مخافة أن تنافق يدي فاتبه وفقك الله فكن على حذر من الكبر والخيلاء سواء في قولك أو فعلك فإن الله مطلع عليك عليم بأسرارك.

// قال رحمه الله واحذر داء الجبابرة: الكبر. الى قوله ... عليك الناس ؟

يحذر رحمه الله محذرا عن ثلاثة من الأدوية من الكبر والحرص والحسد فهذه الثلاثة أول ما عُصي الله به فإبليس تكبر فكفر وآدم حرص فأخرج من الجنة وابن آدم حسد أحدهما أخاه فقتله وهذه أمهات الذنوب ومعظمها يرجع إليها ومن صور الكبرياء أن تطاول على معلمك بأن تظهر ما عندك لتستعلي عليه وألا تأخذ العلم ممن هو دونك سواء في السن أو في العلم فهو كبر وتقصيرك عن العمل تكبرا وقع فإنما هذه يحرمك بركة العلم.

ولا ينال العلم متكبر بل ينبغي أن تكون متواضعا فهو رفعة لك مزينا على نفسك وهاضما لها ملازما لطالب التواضع كلما أحسست منها بنشوة وترفع وكبرياء فإن الواحد إذا تعلم أو نال منزلة أو مكانة دعته نفسه الى ذلك فعليك لها بالمرصاد فإن كنت على العبادة رفعك الله وأحبك الناس.

من أنت يا مسكين فالله هو الذي علمك وهو الذي فهمك وهو الذي جلب القلوب اليك وهو الذي سترك أمام الناس فعلى أي شيء تترفع فالأمر ليس منك وإنما هو من الله

// قال المؤلف رحمه الله عن عبد الله في قوله وصحبتها ... اهـ //

نقل لنا رحمه الله أمثلة جلية من تواضع السلف وهضمهم لأنفسهم يكون واقفا بعرفة فيقول من نفسه لولا أني فيهم لقلت قد غفر لهم.

هكذا والله يكون هضم النفس كما قال الذهبي رحمه الله فليكن هذا ديدنك
وهذه تسريتك وحديثك مع نفسك إذا رأيت من هو أكبر منك فقل
سبقني إلى الحسنات، وإذا رأيت من هو أصغر منك قلت سبقته إلى
السيئات.
إذا رأيت الفقير قلت: خفّ حسابه
إذا رأيت الغني قلت: كثرت صدقاته
هكذا دائما وأنت أعلم الناس بعيوبك فالزمنها باب التواضع.